معالي سيادة رئيس الحكومة

حفظه الله ورعاه

قضيت أكثر من ثلاثة أشهر، وأنا أقيم الأوضاع من حولي في الحكومة ، لا سيما في وجهها السياسي ، وأقلب الخيارات الممكنة أمامي ، وعملا بمبدأ الهرم المقلوب ، أو كما يقول شعبنا الطيب (من الآخر) توصلت الى أن القرار الأنسب هو الانسحاب من الحكومة من دون ضجيج ، مع الدعاء والتمني لكم بالتوفيق ولو لسبب واحد : هو أن توفيقكم الصعب في قيادة اقتصاد البلاد وأمنها وإيجاد الحلول الملائمة لإشكالاتها المتراكمة في المعيشة والشغل ، ومقاومة سرطان الإرهاب سينعكس في الحد الأدنى على مستقبل أولادي الثلاثة القصر بغض النظر عما إذا كنت كسياسي ، وزيرا ،أو نائبا ، أو محاميا ، فنحن يا سيادة الرئيس مرتبطون بهذه الأرض دون سواها جبلنا على أن نشم رائحة ترابها وغرسها ومياهها ، أكثر من تنسم رائحة السلطة ، بامتيازاتها ، وبهرجها ، وتشريفاتها ، وهبر أموالها ، التي تؤدي بأغلبهم الى مذلة السجون وتقبيل الأحذية في لحظات الشدة ، لذلك فعلينا أحببنا أم كرهنا أن نؤمن لهذا الجيل حياة فيها الحد الأدنى من الأمان ، والحلم ، وبعيدا بعيدا عن حمام الدم الذي يحيط بنا ويحاصرنا بارتداداته المحتملة من شرق المتوسط إلى تخوم المحيط الأطلسي ، حيث الثورات المغدورة ، بقطع رؤوس وسبي النساء ووقف الدراسة لملايين الأطفال الذين يعجز ذووهم على تفاهمهم كنه ما يجري ، وعبثية المشاهد التي يرونها في الشاشات وعلى الشبكات العنكبوتية.

وسأعود الآن بنقطة الأولى المتعلقة بتقييم الأوضاع ، حتى صارت الباعث الرئيس لقرار الاستقالة.

فأنا كما تعرفون عضو مؤسس في حزب نداء تونس

وقد كنتم شاهدا شخصيا ، سيدي الرئيس في أواخر شهر نوفمبر 2011 ، كنا وقتها في وزارة الداخلية ، عندما قلت لك أننا سنسلم الحكم في أواخر شهر ديسمبر إلى من فازوا في الانتخابات التأسيسية ، وعلينا أن نؤسس حزبا يعيد التوازن إلى البلاد ، طالبا منك تبني الفكرة والدخول فيها ، وقد كانت فكرة عدمية لدى كثير من الناس أمام الهزيمة المدوية التي مني بها أكثر من مائة حزب في انتخابات 23 أكتوبر 2011 ، ما زلت أذكر الحوار الذي دار بيننا بحرفيته .

ومن ذلك الوقت إلى 26 أكتوبر 2014 تاريخ الانتخابات التشريعية الأخيرة ، عشت في أتون الصراع الذي رافقه عنف روابط " حماية الثورة " وقائمة الاغتيالات ، وضبابية المشهد الذي كانت ترتسم في أسئلة أولادنا والنساء الهائمات في الإدارات والأسواق.

ومن تداعيات تلك المرحلة الآن ، أننا يوم دفنا لطفي نقض في تطاوين ، بعدما دقت عظامه بالآجر والأحذية وسحل ورأيت ابنه الذي خرج من بين الأرجل وراء النعش ، ورضاعة الحليب في يده ، بكيت في صمت ، وكان قلبي يتقطع على الابن غير المميز ، أكثر منه على الأب الذي لم يعد يحس أو يفكر.

بقي ذلك المشهد محفورا كالوشم في ذاكرتي ، مضافا إليه صورة القطعان التي استقبلتنا ، وشهوات القتل والدم تقطر من عيونهم وأفواههم عندما أحاطوا بمطار جربة ورجمونا بوابل من الشتائم والسباب المقضع...

في 26 أكتوبر 2014 حصلنا على التكليف الشعبي المتمثل في 86 مقعدا بالبرلمان التونسي والممهور بالأمل والفرح والثقة.

كنت رئيسا لقائمة نداء تونس ببنعروس التي حصلت على قرابة 90 ألف صوت ، فخرج منها أربعة نواب ، رجلان وامرأتان ، وما زلت أذكر تفاصيل تلك

الوجوه التي استقبلتنا في أحياء المدينة وأريافها ، حمام الأنف ، المروج ، حمام الشط مرناق ، الملاحة ، رادس ، نعسان ، شبدة ، المحمدية ، فوشانة ، بوربيع ، القنة إلى آخره.

كنت أكرر أمام الملأ " أننا لم نأت لنعدكم وعودا كاذبة ، لا أعتقد أننا سنحل كل مشاكلكم ، نحن نتعهد فقط بأن نخدمكم ، نحن ثقاة فثقوا بنا ، ضعوا ايديكم في أيدينا لنخرج بلادنا من الأزمة ونخلق معجزة اقتصاد الوفرة ، وتنمية الحرية ..."

كنت من أوائل المدافعين عن خيار الحزب في عدم الاستئثار بالسلطة ، وعلى ألا يكون رئيس الحكومة من نداء تونس وعلى أن ندخل في شراكة مع الحزب الثاني وأحزاب أخرى لنؤمن للبلاد أسس الاستقرار والنماء.

وعشت الى 06 فيفري 2015 تحت قبة البرلمان ، مفعما بروح الأمل والتفاؤل ، وكنت أصرح في كل مكان بأني غير معني بدخول الحكومة ، وأني أريد البقاء في البرلمان والحزب باعتباره المائدة المائية التي تغذي وجودنا وتسقي شجرة التوازن السياسي في البلاد

وعندما دعيت إلى مهمة حكومية رددت هذا الكلام على مسامعكم سيادة الرئيس ، وأنها نبهني بعض الأصدقاء إلى أنه قد يتم سحبي من البرلمان ، وتصفية الحساب معي في العمل الحكومي فأعرضت عن هذا القول وها أني أرفع عنك الحرج الآن !؟

جئت وزيرا مكلفا بالعمل البرلماني لدى رئيس الحكومة دون أي ضمانة سوى ثقتي في شخصكم سيادة الرئيس والتي جاءت من مفهوم " الماء والملح " الذي كان بيننا في وزارة الداخلية سنة 2011 .

وتذكرون أني منذ الوهلة الأولى صارحتكم ، بأني اعتبر نفسي سياسيا ، لم آت من إدارات الدولة لأمارس عملا تقنيا وأني بناء عليه فوق المهمة الغامضة

التي أسندت لي ، وقد قلتم لي شخصيا أنكم غير مقتنع بهذه الخطة ، وأن وجودي سيكون بالتنسيق اليومي لإسناد الحكومة سياسيا ، وبناء عليه كنت على أتم الاستعداد للاستشارة السياسية بما لدي من خبرة متواضعة في فهم أوضاع البلاد ، وقدرة على التواصل والا فان شرف العمل في البرلماني المبني على ثقة الناس ومساعدة حزبي في مزيد الانتشار والاستقرار يكون أجدى وأهم بالنسبة لي ... وحصلت على موافقتكم الصريحة والواضحة والجادة ، ومازلت أذكر تفاصيل الحوار.

وها قد مرت أشهر ، وأنا أجلس على مكتب فخم ، قيل لي أنه في غرفة نوم الباي رحمة الله عليه وسيارة مرسيدس فخمة ، وراتبا وزاريا و" كوبونات " بنزين ...وحضورا متواترا يوم الأربعاء في المجالس الوزارية وبجانب ذلك و " تساوقا " معه إقصاء منهجي من كل القرارات وغياب تام للمعلومة ومنع من أي تصرف بحيث أجدني أتحرك في مساحة زنزانة سياسية انفرادية ، يرادَ منها نزع أي مصداقية عني ، واحالتي الى تقاعد سياسي مبكر ، مقابل ما ذكر من امتيازات ووضعي في حرج لا متناه مع الناخب الذي أودع في ثقته في انتخابات عامة في ولاية بن عروس ، وحرج أكبر أمام جهتي الأصلية قفصة التي كتب عليها أن تقدم عشر مليارات يوميا للدولة ولا تتمتع بغير السرطان الكيميائي والمياه الملوثة والبطالة التي تضرب ثلث السكان.

ذهبت أواخر ماي الماضي إلى المتلوي ، واجتمعت بأربعمائة من عاطليهم عن العمل في الأحواض الأربعة، نفس الوجوه التي رافعت عنهم مجانا طيلة 2008 ، لم يكن هناك حلولا ، صبرتهم وعدت إلى تونس ليستقر في ذهني ما قلته وكتبته في مواطنون زمن الانتفاضة من أن قفصة مدينة أفغانية تحسد قندهار

فالحقيقة يا سيادة الرئيس ، أن القرارات التي تتخذ والتعيينات التي تمضى والتوجهات التي تصاغ ، نسمعها ونعرف عنها من الإعلام فنلوذ بالصمت ويطلب

مني الدفاع عنها ، لأن الحكومة فريق متضامن ؟ ويتزايد الحرج عندما يقول لنا الناس ، أنتم الحزب الحاكم

لقد سعيت في كل الاتجاهات، للتنبيه إلى المظالم وأردت إيصال أصوات بعض المقهورين، والمظلومين الذين تطحنهم ماكينة الفساد ، والهبر الذي يتضاعف يوما بعد يوم

نبهت إلى ملفات بعينها ، والى شخوص متورطة لا تستحق فقط الطرد بل المحاسبة الفورية والسجن، فوجدت نفسي كمن يصيح في الربع الخالي ، أو من يجدف في بحيرة لا ماء فيها ، في حكومة قيل أن أيديها مرتعشة وأنا أقول،أن لا أيادي لها أصلا لترتعش.

حتى أني وبكل وضوح أطرح الأسئلة على نفسي ، ان كانت هناك ارادة فعلا للتصدي للفساد في بلاد بلغ حجم الاقتصاد الموازي فيها 54 بالمائة من دخلها القومي ، واني على يقين أنه مثلما لا يمكن للعقول الاستبدادية أن تقود الديمقراطية ، لا يمكن كذلك محاربة الفساد بمسؤولين فاسدين.

واعلموا سيدي الرئيس أن الفساد مؤشر على وجود الاستبداد والعكس أيضا صحيح ، ففي النظام الديمقراطي يمكن أن يوجد الفساد بمنسوب ضعيف حتى أنه يلعب دور البكتيريا المخصبة ، أما ما نحن فيه اليوم ، فهو سيطرة الإقطاع السياسي وسيادة الفساد في ظل الفوضى المنظمة وليس الديمقراطية ، ومرد الرشوة والاستيلاءات والجشع هو عدم الثقة في " السيستام " ، والغيوم المتلبدة في طريق المستقبل.

لذلك وعليه، ما انفك نواب حزبنا، وكوادره، وقياداته يسألون أين السلطة ؟ ومن يحكم البلاد فعليا ؟ ولماذا سرق منا انتصارنا الانتخابي ؟ وماذا سنقول للناس الذين أودعوا فينا ثقتهم ؟ ولماذا نتعرض إلى إذلال منظم شبيه بالعقاب

الجماعي ؟ وهل سنجر نتيجة كل ذلك وبعد أن نخسر ما تبقى من صدقنا ومصداقيتنا للمغارة التي أكلت فيها أحزاب سبقتنا ، إلى المربع الذي نجلس فيه اليوم ؟؟؟؟

فالكل يعرف أن الانتخاب هو تكليف قابل للسحب ، متى تخليت عن وعودك أو انحرفت عن مسارك ، أو بعت الثقة التي اؤتمنت عليها

وان نداء تونس الحاصل على المرتبة الأولى وان كان بمعدل ضعيف يطلق عليه ألان اسم "الحزب الحاكم " وأنه بناء على ذلك سيحاسبه الناخب بشكل أفقي ، وعمودي كذلك أي في علاقته بالساحة السياسية عموما ، كما في علاقته بالحكومة

من هذه المنطلقات جميعا سيادة الرئيس ، أجدني أخجل من نفسي ، عندما أرى أني حصلت على ثقة عشرات الآلاف لأحولها الى راتب شهري وزاري يأتي من جيوب المكلفين بالضريبة المباشرة وغير المباشرة الذين يئنون تحت وطأة غلاء الأسعار ، وتعطل الأعمال ، وقلة ذات اليد ، وسيارة مرسيدس فاخرة وبنزين مجاني ، دون عمل أقوم به ، وأقدم بمقتضاه خدمة لبلادي وحزبي وناخبيه.

وثقوا سيدي الرئيس أني لست من طينة من يزحف على بطنه للحصول على المناصب ، لينادى بسيدي الوزير ولا ممن يجبنون أمام الامتيازات التي يرافقها الخصي المعنوي وهدر الكرامة ، في سلطة وهمية ، لا أمل في إصلاح ما تراه من اعوجاج حد التقوس فيها .

سأقدم اعتذاري لناخبي دائرتي في بنعروس ، وأعود للقرب منهم ، وخدمتهم في مكاشفة ومصارحة أعتقد أني ما زلت قادرا عليها ..وأكون جنديا رافضا للنياشين والأوسمة المغموسة في مذلة السلطة والمناصب التي لو دامت لغيرك لما وصلت إليك.

فأنا أعتقد أن هذه البلاد مازالت محفوفة بالمخاطر والصعوبات التي تتطلب البذل والعطاء عسى أن ينقلب القانون القائل بأن العملة السيئة تطرد العملة الجيدة من السوق إلى عكسه ، باتحاد الوطنيين والشرفاء والنزهاء ، الزاهدين في السلطة بوصفها أم اللذائذ ، المسرفين في حب الأوطان ، وهموم الشعب

لــذا

تقبلوا استقالتي من الفريق الحكومي ودمتم سيدي الرئيس في أمان الله ، وفقكم الله ، وعسى أن تجدوا في هذه المصارحة والمناصحة والمكاشفة ما ينفع خط سير حكومتكم لتحققوا الأمن والرخاء في هذه الثورة المغدورة ، لهذا الشعب الصابر الذي مل الانتظار وحفلات التكاذب الوطني.

مع فائق الود

محمد ألأزهر العكرمي

تونس في 05 أكتوبر 2015